حوار مع الخطاط الإماراتي محمد مندي:

لوحة الأقصى تنتظر من يوصلها إلى المسجد المبارك

لوحة «القدس» للفنان (القدس العربي)

محمد مندي في مرسمه (القدس العربي)

أبو ظبي ـ «القدس العربي»:

فلسطين وعاصمتها القدس هي القضية الحاضرة في وجدان كل عربي وكل مسلم حر، وهي الأكثر معاناة وتأثرا بالأحداث المؤلمة التي تقع كل يوم على الشعب الفلسطيني، وما يعاني منه القدس الشريف في ظل الاحتلال.. كان الأرق الدائم عند الخطاط الإماراتي محمد مندي والذي عبر عن ذلك في لوحة جدارية يظهر فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، كما تظهر اللوحة جانبا من مأساة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال كالشهيد الطفل محمد الدرة وشخص أبيه وهو يحاول أن يحميه. هذه اللوحة التي يريد الفنان إيصالها إلى القدس يعتبرها من أعماله المتميزة التي نالت جوائز عديدة ويأمل الفنان، وأشاركه الأمل، أن تهتم صحيفة «القدس العربي» بإيصال هذه اللوحة إلى المسجد الأقصى لتكون هدية رمزية في المشاركة من أجل فلسطين والقدس.

والجدير بالذكر أن الخطاط محمد مندي من البارزين في هذا المجال الإبداعي محليا وعربيا، وقد سبق له أن حصل على دبلوم الأوائل من مصر من مدرسة تحسين الخطوط العربية بالقاهرة في سنة 1977م. وشارك في الكثير من المعارض وصمم العديد من الشعارات. وقد وقع عليه الاختيار ليخط العبارات على مبنى المنتدى الإسلامي في بينسبرغ في ألمانيا، حيث وضع بالخط الديواني تصميما للمئذنة التي نفذت بالحديد، كما كتب أسماء الله الحسنى بذات الخط لسقف المسجد والمحراب. وفي المجمع الثقافي في أبو ظبي حيث أقام معرضه كان لـ «القدس العربي» معه هذا الحوار.

■ البداية الفنية والتطور الذي حصل على الفن.. وكيف تم التخصص بالخط؟

■ البداية الفنية أني عشت في المدرسة وسط عائلة فنية، منهم من أصبح رساما، أو خطاطا، ومنهم المختص بالديكور، بالمكياج، بالسراميك.. كنا مثل خلية نحل. وبعد هذه المرحلة كل واحد درس الاختصاص الذي يرغبه، أنا اتجهت من الرسم إلى دراسة الخط العربي، لم يكن عندنا في الإمارات معهد أو مدرسون مختصون، كنت أبحث عن الخطوط في المكتبات وفي الجرائد وبعض معارض الكتب التي تقام. أقلد الخط العربي، لكن الخط العربي مع التقليد لايعطي نتيجة، ومن الضروري أن يكون بتوجيه أستاذ مختص.

■ في البحث وراء الخط العربي، هل كانت مرجعيتك مقتصرة على الإرث الإسلامي حيث كان الخط والعمارة فقط وعدم وجود الصورة.

■ نحن أول ما عرفنا الخط العربي كان الخط الكوفي بالصاحف، يعني أول ما كتب بهذا الخط القرآن الكريم، وكان يكتب بدون نقط. وفي الزمان القديم كان القرآن محفوظا في القلوب أكثر مما هو محفوظ بالورق. بعد ذلك بدأ التنقيط من شأن تسهيله للقراءة. مثلا حرف السين كان تحته ثلاث نقاط.. ثم انشالت من تحته تلك النقط.

■ يعني ذلك أنه كان عندك مرجع هو القرآن الكريم قبل التنقيط؟

■ طبعا كيف تحول الخط في القرآن من كوفي إلى ديواني إلى ثلث إلى نسخ إلى رقعة إلى نسخ تعليق.. هذا دليل أن الخطاط المسلم ما ظل على خط واحد. حتى غير المسلم أحيانا أسلم من أجل أن يدخل عالم الكتابة والخط، وأن يدخل في بحر القرآن وفي بحر الكلمات الإسلامية والشعر العربي. هناك تنوع الخط ووضعت قواعد للكتابة وتعدد الخطوط، هناك خطوط تصلح للمساجد وأخرى تصلح ليافطات الشوارع ومنها ما يصلح لرسائل الحكام والملوك، وهناك خطوط فيها فن وخطوط فيها سهولة ووضوح في الكتابة، يعني مثلا الرقعي خال من التشكيل، الخط الديواني خال من التشكيل، خط التعليق وهو فارسي خال أيضا من التشكيل، جماله في حرفه، مثلا هناك خط الثلث في لوحة الكعبة، وخط النسخ وهو في القرآن، وخط الجيل الديواني الذي يأتي مناقضا هذه الخطوط الثلاثة، إذا لم يتم تشكيله فكأنه يجرد من جماله، لقد وصل الخطاط المسلم بتعدد أنواع الخطوط وأشكالها إلى أرقى مستويات الفن. في تنفيذها، إذا كان من ورق مثلا يتفنن في التذهيب، وأيضا في صناعة الحبر، وإذا كان على الجدران يتفنن في لون السراميك، وإن كان على الرخام يتفنن في حفره، فيظل الفن الإسلامي والفن العربي والزخرفة الإسلامية مرغوبا لدى كل الأديان.

■ أي من هذه الخطوط أحب إليك؟

■ بدأت عملي بالخط الكوفي لأنه يرسم في خطوط تأخذ امتدادها على طول بالبوص يعني الرسم، بعدها انتقلت إلى الخط الديواني وقد عملت فيه لأنه لا يحتاج إلى تشكيل، وبعدها دخلت على الديواني الجديد الذي هو تشكيل بيضاوي يكون دائرة. والآن أدرس خط الثلث والنسخ في تركيا، على يد الأستاذ الشيخ حسن شلبي. كنت سابقا درست على يد الشيخ المرحوم سيد إبراهيم، خطاط مصر الأول، وقد سمي بعميد الخط العربي. وفعلا، هذا الأستاذ ـ عليه رحمة الله ـ كان أديبا شاعرا وكان من أصدقاء الشعراء أحمد شوقي وحافظ أبراهيم وعباس العقاد.. وقد بحثت عليه في آخر أيامه ونلت الدبلوم واستفدت كثيرا من نصائحه، وأكبر نصيحة قالها لي إنه مهما ارتقيت بالخط لا بد أن أتواضع للكتابة، وكأنني ما وصلت. وأنا حريص في كل معرض يقام لي أن تكون صورة المرحوم سيد إبراهيم في هذه المعارض وهي الصورة التي عملتها له بالاسم حاولت أن أحافظ على ذكراه في المعارض. وللتاريخ أقول: إنه أستاذي، وأقدم له الاحترام اللائق عرفانا من طالب إلى أستاذه.

■ على ذكر العرفان كان قبل الإحساس بالعرفان سواء للأستاذ أو للأهل ولكل من عمل خيرا. كيف تجد الآن هذا العرفان وإلى أي حد وصل، خاصة في أجواء العولمة التي لا تعنيها القيم والأخلاق؟ إلى أي حد تراجع هذا العرفان وهل ما زال موجودا؟!

■ أنا أذكر أيام الدراسة، إذا التقينا الأستاذ في الفترة المسائية نهرب ونختبئ في البيوت احتراما. وحين كان يدخل الصف نشعر وكأن الداخل علينا أمير أو حاكم نجله ونقدم له كل احترام، ونصمت إلى أن ينتهي من كلامه. طريقة التدريس القديمة ما زالت في الذاكرة، الآن مع الأسف لم يعد هناك احترام للمدرس.

■ على ذكر الدراسة في تركيا، هل وجدت فرقا بين تدريس الأستاذ الأول في مصر والتدريس اليوم في تركيا؟

■ الحقيقة أن أستاذي في مصر درس على يد خطاط مصري، ولكن كانت له علاقة متينة مع الخطاطين الأتراك. لما تغير الحكم في تركيا واختارت الحرف اللاتيني بدل العربي نزح الخطاطون الأتراك ومنهم: محمد مؤنس، الشيخ عبد العزيز الرفاعي، الحاج أحمد كامل، هؤلاء هاجروا إلى مصر، لأن الخطاط يجب أن يلقى تشجيعا كافيا. كان الخطاط قديما مقربا من الحاكم، فكان هو الذي يكتب أسرار الحاكم وعنده كل أسرار الدولة، أي شيء هو يدونه بقلمه. وقد جرت دراسة في المؤتمر الإسلامي لتأسيس جائزة خاصة باسم سيد إبراهيم في اسطنبول، كما بدأت أرتكيا من حامد الآمدي ياغوط المستعصمي، وهناك مسابقة تقام كل سنتين ونصف ولما وقع الاختيار على سيد إبراهيم درست خطوطه وجدوا فيها تأثير الفن التركي النابع من تعلقه في تركيا، وفعلا كان هذا الأستاذ عندما يدرسني يحدثني عن تركيا وعن الجهود التي بذلتها في تعليم أبنائها والعمل على تدريس التلاميذ على الطريقة القديمة مثل بري القلم وصناعة الحبر وصناعة الورق، وتدريس الخط على القواعد الأصيلة في الكتابة. وهذا يعني أنهم يدرسون مثلا: ألف الثلث سبع نقط بارتفاعها، طبعا النقطة بالثلث مستطيلة، في النسخي مربعة، يعني كل خط له مقاس خاص، فالديواني مثلا ارتفاعه ثلاث نقط، النسخي أربع نقط. هذا الشيء لسناه في تركيا. وهناك تنظيم وهدوء، الوقت غير مهم، المهم أن تستفيد. وطبعا كان التدريس كان مجانا، وهو نابع من الحديث الشريف «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». تدريس الخط عندهم نفس تعليم القرآن. يعني من يتعلم القرآن يجب أن يتعلمه عند الشيخ، تدريس الخط لازم تعليمه عن طريق خطاط. ويوجد عندهم التعليم من مسك القلم وكيف يكتب الحرف، كلها أسرار وما زالوا مستمرين، وعندهم المدرسة التركية وعندهم الزخرفة. كل الخطاطين العرب الكبار، الخطاطين السوريين، الخطاطين العراقيين والمصريين، كلهم درسوا على يد الأتراك. مع الأسف لحد الآن، الدول العربية لا تعطي أي إجازة في الخط، يعني أن أعمل حلية، أن أعمل لوحة فيقول المدرس أجزت فلانا. من المؤسف أننا في البلاد العربية ما حافظنا على تراثنا.

■ لقد صممت واجهة محكمة العدل، واستعلامات المديرية العامة للشرطة، لماذا اخترت العدل والشرطة أو هم اختارو أعمالك؟

■ في المحكمة هناك تقارب بين العدل والشرطة وهي مؤسسات متقاربة في العمل، مثلا يتقدم البلاغ عن أحدهم إلى الشرطة وبعد ذلك يتقدم إلى المحكمة، إنه عمل متصل، المحكمة تحكم والشرطة تبحث. جاء في القرآن «إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة». أنا اخترت هذه الآية القرآنية. يتم الاختيار سواء كان آية أو حديثا حسب الموضوع، عملت مثلا مسكوكات الدولة، عملة الإمارات بالخط الكوفي، وبالمناسبة قمت بخط الليرة السورية الألف والمئتين، وعملة البحرين، يجب على الفنان أن يشارك المجتمع في أعماله، أنا أبقى في البيت عندما يكون عندي عمل أشتغل عليه وعندما ينتهي هذا العمل أخرجه إلى الناس على مبدأ أنا لكي أخدم نفسي يجب أن أخدم الناس، أخدم شعبي وأخدم الوطن، الفنان يجب أن يشتغل لوطنه أولا ولنفسه.

■ كيف تأتي صورة اللوحة عندك؟ هل تتخيل الشكل قبل الخط.. أعني كيف تحدد شكل اللوحة؟

■ أول شيء تتشكل في الخيال عندما أكلف بعمل ما، ثم أطبق على الورق. ومن الورق ينفذ العمل، سواء على جبس أو على سراميك أو على رخام، وحسب الخامة المطلوبة مني، وأعمل أكثر من فكرة حتى يتم اختيار الأفضل.

■ أنت تدرس الفكرة المطلوبة منك، ثم تختار اللوحة حسب الموضوع. كيف يكون اختيار الألوان؟

■ يتم اختيار اللون حسب الحالة النفسية التي أعيشها، أحيانا أختار اللون الأحمر أو الأزرق...

■ ماذا يعني الأحمر لك أو الأزرق؟

الأحمر يعني أني أكون في وضع غير مريح، واللون الأزرق والبنفسجي جو هادئ وجميل، والألوان الوردية جو مناسب. ولكن في حالة ما اللون الأسود أو الأحمر أو البرتقالي يعبر عن قلق واضطراب. أحيانا الأسود والأبيض يعني نسف كل الألوان كما يقال، الفنان برأسي هو اثنان: فنان للناس يعمل لهم ما يريدون، أما الفنان الثاني فهو الذي يتحكم بلوحته، بلونها، بحجمها وتكوينها في الوقت ذاته. مثلا: لوحة الشيخ زايد – رحمه الله – اشتغلت فيها سنة كاملة، لم يطلبها مني أحد ولكن من أجل أن أعبر عن حبي لهذا الرجل ومن إبداعي اخترت عملا صعبا، هذا العمل هو الدمج بين الرسم والخط، وهذا يعني عملين في عمل واحد.

■ أي لوحة أو عمل له عندك تميز أكثر؟

■ في لوحة الشيخ زايد جمعت ما بين الرسم والخط، واللوحة الثانية كانت وما زالت ذكراها عندي ولا يمكن أن تنسى، هي لوحة الكعبة وعليها أسماء الله الحسنى تلف حول الكعبة. هذه اللوحة جاءني إلهامها وأنا أعتمر وذلك في رمضان. كنت في الدور الأول من الحرم ورأيت الناس يطوفون... من هنا بدأت فكرة اللوحة. وبعد انتهاء مناسك العمرة، كانت الفكرة أن هؤلاء الناس الذين يعتمرون، منهم عبد الرحمن وعبد الودود وعبد السميع.. إلى ان اكتملت فكرة اللوحة بأسماء الله الحسنى. فكتبت الكعبة. ثم: هو الله الذي لا إله إلا هو. وبعدها كتبت الرحمن الرحيم الملك، ثم كامل أسماء الله الحسنى. هذه اللوحة لن أنساها أبدا. أما العمل الثالث فهو لوحة كبيرة للمسجد الأقصى تضم وتظهر فيها معاناة الشعب الفلسطيني إلى جانب قبة الصخرة، ولكن ما زلت أحتفظ بهذه اللوحة وأتمنى من يوصلها إلى المسجد الأقصى وأكون له من الشاكرين.

■ ما الجديد في المستقبل؟

■ في الصيف الماضي درست ثلاثة أشهر على يد الأستاذ حسن شلبي في تركيا خط النسخ، وإن شاء الله في هذا العام سوف أكمل ما بدأت به. ومن بعدها أتمنى أن أكتب المصحف بطريقة فنية جميلة.

التقته: فاطمة عطفة

تداعيات

صنعاء.. عاصمة بلا حدائق!

د. عبد العزيز المقالح

■ كثيرة هي قصائد الشعراء المعبرة بصدق عن حبنا بل وعشقنا وولهنا بهذه المدينة التاريخية الاقدم بين عواصم العالم بشرقه وغربه. لكن هذا الافتتان لا يعني الرضا الكامل عن واقع هذه المدينة وما عانت وتعاني من مشكلات مزمنة وحديثة واهمها غياب المساحات الخضراء والهجوم المتواصل على كل شبر يمكن ان تنمو فيه شجرة او حوض زهور. ولن اتحدث عن مذبحة الاشجار المعمرة في شارع حده، تلك المذبحة التي شاركنا جميعا في اقامتها اما بالصمت او بالموافقة العلنية الى ان صار الشارع عارياً ينتظر ان تنمو اشجار الزينة التي لن يغني وجودها عن تلك الاشجار التي ذهبت ضحية الاهمال والتصور المغشوش لمدينة رمادية من دون اشجار.

في الماضي البعيد للعاصمة كانت مكانة الحديقة من مكانة المسجد، وكانت البساتين جزءا لا يتجزأ من كيان المدينة انطلاقا من مبدأ ان الانسان ليس حيوانا يأكل ويشرب فحسب، بل انسان يحب الجمال ويحترم الطبيعة، ويقدس الله في مخلوقاته. وجمال الوطن هو الذي يجعل الانسان يتفانى في حبه ويدفعه الى الاخلاص في العمل، اما القبح والدمامة فلا يصنعان الا الكراهية والموت والحقد على كل شيء. وقد كنا وما نزال نفتقد التربية الجمالية في بيوتنا وفي مدارسنا وخلت المعاهد والجامعات من تعليم الذوق السليم واصبح التعليم تلقينا للنجاح في المقررات وليس النجاح في التعرف على معنى الحياة والاستعداد لعمل ما يمكن عمله من اجل الوطن والارتقاء به وبأبنائه روحيا واخلاقيا وجماليا.

وبالمناسبة، لا انسى دهشتي عندما قرأت بحثا علميا عن الحدائق في الولايات المتحدة وانها تربو على مليون حديقة عامة، غير حدائق المنازل التي يصعب حصرها، وغير الضواحي التي تعد مروجا ومتنفسا قريبا من المدن؛ ومهما قيل عن فارق الامكانات الطبيعية والاقتصادية وعن الانهار وكمية الامطار فان الانسان هو صانع حياته وبيئته وصانع مصادر الجمال تحت كل الظروف، وقد علمت من الدراسة السابق ذكرها ان المؤسسات التي تتكفل برعاية الحدائق في المدن الامريكية تتألف من المدارس والكنائس والاتحادات والنقابات ونوادي رعاية الحدائق وان العناية بالاشجار والزهور في العالم الحديث بعامة مبدأ اساسي وجزء لا يتجزأ من اصلاح النفوس سياسيا واجتماعيا وصحيا، ويبدو ان ذلك وراء تقبل المواطنين في العالم الحديث لفكرة الحوار البعيد عن التشنج والانفعال والمبالغة، وهو لا يفضح ما يستدعيه جفاف البيئة من جفاف مماثل في النفوس والعقول ومن غياب الاخضرار في الكلمات التي تحولت الى سكاكين ومسامير والى اشواك تدمى الأكباد على حد المثل الشائع.

لقد كان من الممكن ان تكون صنعاء عاصمة نموذجية للجمال، وهي بطقسها وبتكوينها الفطري جديرة بان تكون كذلك لو انها قد لقيت قدرا من الرعاية ليس من المسؤولين عنها رسميا في الامانة والبلدية والانشاءات والمجالس المحلية وحسب وانما من كل سكانها، ومن كل فرد يريد ان تقع عينه صباح كل يوم على منظر رائع وجميل. واذا كان بعض المسؤولين قد جانبهم التوفيق واساؤوا بقصد او بدون قصد في صرف الاموال المخصصة للعناية بالمدينة وهي كبيرة، فان وسائل الاعلام قد جانبها التوفيق اكثر. فاذا كانت قد اشارت بحذر الى مذبحة الاشجار فيميدان قاع العلفي التي كانت تزين الفضاء القريب من وزارة الخارجية فانها ـ اي وسائل الاعلام ـ لم تكتب حرفا واحدا عن مذبحة الاشجار في شارع حده.. وقد حدثت على مرأى ومسمع من عشرات الالوف من الناس الذين يبصرون ولهم عين «تفقع» الحجر.

خلاصة القول ان صنعاء العاصمة التاريخية بحاجة الى المزيد من الحدائق والى المزيد من العناية واذا كان محيط المدينة الحالي قد اصبح مكتظا الى درجة يصعب معها العثور على مساحات خالية فان في الضواحي الجديدة والارباض الزراعية التي بدا الجشعون في الاستيلاء عليها، مساحات كافية لاقامة اكثر من حديقة وبمواصفات حديثة، واذا تم ذلك، واتمنى ان يتم فان الاجيال القادمة من سكان العاصمة ستقول لنا جميعا شكرا لكم ايها الاباء.. شكرا لكم ايها الاجداد.

تأملات شعرية:

يا أنت
يا حديقة الروح
ويا جميلة الجميلات
وبيت الحب يا صنعاء.
لا تحزني اذا استحال الظل عتمة
والاخضرار عوداً يابساً
ووردة الصبح إلى أفعى.
لا تحزني إذا أتاك العاشقون
ليس في أكفهم سوى قلائد الشعر
وآيات من الدعاء.

اول فيلم سينمائي سعودي قريبا على شاشات العالم العربي ... عدا السعودية

دبي ـ من سام داغر:

يعرض اول فيلم سينمائي سعودي تقوم ببطولته اول ممثلة سينمائية سعودية، هذا الصيف في صالات كل الدول العربية باستثناء السعودية حيث ما تزال السينما ممنوعة.

وفيلم «كيف الحال» من انتاج شركة «روتانا» الذي يملكها الملياردير السعودي الامير الوليد بن طلال روائي يجسد بحسب منتجيه الخلاف بين المعتدلين والمتطرفين في ظل سعي جيل الشباب الى الدخول في عصر العولمة مع الابقاء على القيم الاسلامية الراسخة.

وبسبب غياب صناعة الافلام في السعودية، صور «كيف الحال» في امارة دبي واخرجه الفلسطيني ـ الكندي ازادور مسلم وكتب السيناريو اللبناني محمد رضا. وحرص القيمون على الفيلم على مراعاة طبيعة الحياة السعودية وتقاليدها الصارمة محاولين قدر المستطاع تحديد ما يجب اظهاره.

وقال مدير الانتاج في قسم الافلام في «روتانا» ايمن الحلواني «حرصنا على الا نظهر اي مشهد قد يستفز المجتمع السعودي لدرجة اننا راقبنا عيني الممثلة لنقرر ما اذا كانت نظراتها في هذا المشهد او ذاك مناسبة او غير مناسبة». ويروي الفيلم قصة الشاب سلطان الذي يلعب دوره السعودي هشام عبد الرحمن الذي فاز في مسابقة برنامج تلفزيون الواقع «ستار اكاديمي» للعام 2005. ويعيش سلطان في منزل عمه بعد وفاة والديه، ويصطدم باستمرار مع ابن عمه خالد المتزمت بسبب اسلوب حياته الغربي.

ويلعب الممثل السعودي مشعل المطيري الذي له تجارب سابقة في المسرح والدراما التلفزيونية، دور شخص اصولي يتقرب من خالد وعائلته الا انه كان يحاول التقرب من شقيقته بينما يدعي التدين.

اما سحر التي تلعب دورها ممثلة اردنية، فكانت تهرب من الضغوط في المنزل عبر الخروج مع صديقتها دنيا التي تلعب دورها ممثلة سعودية للمرة الاولى، وهي هند محمد (25 عاما).

وحلواني الذي فضل عدم اعطاء المزيد من التفاصيل عن الفيلم خاصة لجهة ما اذا كانت قصة حب قد نشأت بين سحر وسلطان، اكد ان الفيلم لا يتضمن اي مشاهد رومنسية، فهو لا يتطرق لاي علاقات خارج اطار الزواج ولا يعرض اي تشابك للايدي بين الجنسين او اي لقاءات عاطفية سرية. واضاف ان «الفيلم لا يسعى الى تحديد ما هو الصواب وما هو الخطأ (..) فنحن اردنا ان نترك ذلك للمشاهد». وتؤكد هند محمد انها تريد ان تمضي قدما في حياتها المهنية كممثلة سينمائية بالرغم من المعارضة التي قد تواجهها في المجتمع السعودي المحافظ.

وقالت في اتصال اجري معها في الرياض «اريد ان اثبت ان المرأة يمكنها ان تصنع شيئا بنفسها رغم ان اهلها يربونها انسانة ضعيفة ويعتقدون ان المرأة عار ولا يجب ان يرتفع صوتها».

وكانت هند محمد تعمل خلال السنوات الثلاث الاخيرة في برامج اذاعية كما كانت تعمل في دبلجة برامج الرسوم المتحركة.

اما المرأة الابرز المشاركة في الفيلم فهي السعودية هيفاء المنصور (30 عاما) التي تشارك في انتاج الفيلم. وكانت المنصور اصدرت العام الماضي فيلما وثائقيا مثيرا للجدل بعنوان «نساء في الظل» يعلن فيه رجل دين اصلاحي انه ليس اجباريا على المرأة ان تغطي وجهها، ما اثار غضب رجال الدين المتشددين. وعرض الفيلم في 17 مهرجانا سينمائيا عالميا وجذب انتباه صاحب شركة «روتانا».

وتعرب المنصور عن تفاؤلها ازاء الخط الاصلاحي الذي ينتهجه الملك عبدالله بن عبد العزيز وتريد ان تستمر في صناعة الافلام في السعودية. وتقول في هذا السياق «انتمي الى السعودية ولا اريد الاستفزاز وجرح المشاعر وان كنت لا اتقبل الكثير من الامور في مجتمعي. لكنني اعتقد انني قادرة على تسوية هذه الامور باسلوب يجعل المجتمع يسمعني ويفتح ابواب الحوار بيني وبينه».

(اف ب)

قصة مدينة تحت سيف التهويد: القدس العربية والجدار الديمغرافي

الدكتورة هدى حوتري *

■ القدس والاستعمار الكولونيالي (العروبة في مواجهة الجدار الديمغرافي)، عمل جديد من نتاج الكاتب السياسي والباحث الفلسطيني علي بدوان. تقع مادة الكتاب في ثمانية فصول متتالية، يبدؤها الكاتب بمقدمة مؤثرة تحمل أنين الخوف على مصير المدينة المقدسة، ومصير سكانها الأصليين من العرب الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين، بعد حملات الاستيطان التهويدي الصهيوني الجائر التي طوقت العاصمة العربية الفلسطينية من كافة جوانبها عبر الكتل الاستيطانية الضخمة في جبعات زئيف، ومعاليه أدوميم وغيرها من المستعمرات الاجلائية، خصوصاً بعد الاحتلال الكامل للمدينة عام 1967.

ففي الفصل الأول يتطرق الكاتب بالأرقام والمعطيات المشفوعة بالتحليل، الى مقدمات الاستيطان الكولونيالي الصهيوني الذي تعرضت له فلسطين وما زالت منذ نهاية القرن التاسع عشر، ويخص المدينة المقدسة بشيء من التفصيل، حيث تلخص رحلة الاستيطان الصهيوني التهويدي التوسعي داخل المدينة وعلى حدودها الى حد ما، بشاعة الاجحاف الذي تمارسه الدولة العبرية الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني وحاضره ومستقبله، منذ القدوم الإستعماري التهويدي بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل/سويسرا عام 1897 وإطلاق تيودور هيرتزل دعوته لإقامة الدولة اليهودية في خطوة رحبت بها وساندتها الامبريالية الجديدة التي صعدت في أوروبا مع نهاية القرن التاسع عشر-وكل من موقع حساباته - قد قلب المعطيات، وفتح طريق المآسي والدروب الشائكة أمام مدينة وشعب معطاء عاش المحبة والاخاء وصفاء النفس البشرية.

أما في الفصل الثاني، فيركز الكاتب على موضوع الجدار البشري الديمغرافي الذي لجأت الى اقامته سلطات الاحتلال منذ السيطرة الاسرائيلية على المدينة في سياق التهويد الكامل للمدينة ودفع أصحابها الأصليين لمغادرتها. وفي الفصل الثالث يركز الكاتب على الوضع الحالي للمدينة التي «تعيش لحظاتها الأخيرة قبل انقاذها»، وفي الفصل الرابع يتناول الكاتب أوضاع المؤسسات الفلسطينية داخل المدينة، ويتعرض بشيء من التفصيل الى أساليب «التطفيش» الاسرائيلية المتبعة لافراغ المدينة من كافة المؤسسات الوطنية الفلسطينية. أما في الفصلين الخامس والسادس، فيبحث الكاتب في المشاريع الاسرائيلية المطروحة لمستقبل القدس، ويقارن بينها وبين القرارات الدولية التي أكدت على عروبة القدس وفلسطينيتها، فيما يحتوي الفصل الثامن بين دفتيه على قائمة المراجع والمصادر.

وخلاصة القول، يعتبر الكاتب (وهو محق في نظرته) بأن قضية القدس العربية الفلسطينية المحتلة بشقيها الغربي المحتل عام 1948 والشرقي المحتل عام 1967 تتجاوز المفاوضات المطروحة على جدول أعمال عملية التسوية «المتوقفة» في الشرق الأوسط، وتتعدى المسؤولية الفلسطينية فيها لتصبح مسؤولية عربية وإسلامية ومسيحية بامتياز لا تقبل سوى الحل العادل.

فقضية القدس تضاف إلى مجمل العناوين الساخنة التي تشكل جوهر القضية الوطنية للشعب الفلسطيني، كما هي حال قضية اللاجئين وحقهم في العودة وفق قرارات الشرعية الدولية. ويعتبرها ذوو الشأن في الساحة الديبلوماسية الدولية «إحدى إشكاليات العالم المعاصر والقضية ذات التدخل الدولي المستديم». فهي تشكل العنوان الأكثر عاطفة في العالم، والارسخ رمزية، والأعمق تجذراً في الوجدان الديني والقومي والإنساني لجمهور المؤمنين من أبناء الرسالات السماوية الذين عاشوا أو ارتحلو اليها كحجاج منذ فجر تاريخها وفي كنف الدول العربية الاسلامية وصولاً الى عام النكبة بكل ارتياح ومودة واخوة.

انها القضية الرمزية الأكثر عدالة لشعب مقهور لم يذق طعم الاستقلال منذ ما قبل محنته الكبرى عام 1948. وهي بهذا المعنى قضية عادلة وصارخة، لمدينة فريدة، وتاريخ فريد لشعب ما زال يمتشق صهوة الفعل وارادة الحياة، بالرغم من كل ما أحاط ويحيط به من عوامل الانكسار والاستبداد على يد طواغيت القوة.

في هذا السياق، يدعو الكاتب من خلال مادة الكتاب الى ديلوماسية واقعية لحل قضية القدس وفق الأفق الراهن والمرئي من ميزان القوى القائم في المنطقة والعالم، وعلى أساس المحاكاة القانونية للعودة إلى الحل الوسط الذي يدعو إلى عودة القدس الشرقية إلى السيادة العربية الفلسطينية، هذه الديبلوماسية باتت مسألة ضرورية للحفاظ على ما تبقى من المدينة في لحظات ابتلاعها من قبل الوحش الهمجي التوسعي الصهيوني، حيث الأيديولوجيا الصهيونية القائمة على المرتكزات الأساسية للنظرية العنصرية، وعلى فكرة «الأمة اليهودية الواحدة» صاحبة «التفرد والنقاء» وهو أمر مخالف لأبسط الحقائق العلمية في التاريخ الانثروبولوجي والتكويني للجماعات والكتل والفئات البشرية، هذه النفس والشخصية تعمل كل ما في وسعها لتدمير الوجود العربي الاسلامي والمسيحي في المدينة وعلى تخومها. ويستنتج الكاتب، انطلاقاً من استحالة بناء التسوية المتوازنة «ما دامت تدور في ظل اختلال المفاهيم المرتبط مع اختلال ميزان القوى» دون استثمار عناصر القوة العربية والاسلامية، أن المدينة الفلسطينية الأسيرة تنتظر كل يوم يد المساعدة المادية والسياسية العربية والاسلامية والمسيحية، لمواجهة التحدي الصهيوني وسياسة الأمر الواقع الجارية على الأرض.

اسم الكتاب : القدس والاستعمار الكولونيالي (العروبة في مواجهة الجدار الديمغرافي) اسم المؤلف : علي بدوان جهة الاصدار : اتحاد الكتاب العرب تاريخ الاصدار: آذار (مارس) 2006 عدد الصفحات: 110 صفحات من القطع الكبير

* كاتبة من فلسطين تقيم في سورية